



خطبة صلاة الجمعة 14 / 6 / 2024 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(ألا هل بلغت، اللهم فاشهد)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتبا، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 71].

أخرج ابن حبان في صحيحه قال رسول الله ﷺ: «ما من يومٍ أفضلُ عند الله من يوم عرفة، ينزل الله إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، فيقول: انظروا إلى عبادي؛ شعناً غبراً صاحين، جاؤوا من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ولم يروا عذابي، فلم ير يومٌ أكثرَ عتقاً من النار من يوم عرفة». وأخرج الترمذي في جامعه قال رسول الله ﷺ: «صيام يوم عرفة: إني أحتسبُ على الله أن يكفِّرَ السنَّة التي قبلها، والسنَّة التي بعدها».

عنوان خطبة اليوم:

(ألا هل بلغت، اللهم فاشهد)

أيها الإخوة:

خطب النبي ﷺ يوم عرفة بالناس خطبة جامعة فادَّة، فيها أصولُ أربعة من أصول الإسلام الحنيف، وخاتمة مؤثرة.

روى الإمام مسلم في صحيحه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خطب النَّاسَ يومَ عرفة، فقال: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا.

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ. وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، ... وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، ...

فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمُ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، ...

وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللَّهِ.

وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قالوا: نشهدُ إِنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فقال بأصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يرفعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ».

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

في هذه الخطبة - كما سمعتم - أربع فقراتٍ مهمّة جداً في هذا الدِّين، وخاتمة مؤثّرة..

الفِقرة الأولى: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»:

فلا يجوز في الإسلام الاعتداء على الآخرين، وتُعتَبَرُ حُرُمَاتُ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالُهُمْ وَأَعْرَاضُهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ كحُرْمَةِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ.

الفِقرة الثَّانية: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ»:

دِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ وَثَارَاتُهَا مَرْمِيَةٌ تَحْتَ قَدَمِي الْمُسْلِمِ، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَعَادَاتُ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَفْكَارُهَا وَاعْتِقَادَاتُهَا مَرْمِيَةٌ تَحْتَ قَدَمِي الْمُسْلِمِ.

الرِّبَا، الثَّأْرُ، تَبَرُّجُ النِّسَاءِ، الْعِلَاقَاتُ غَيْرُ الْمَشْرُوعَةِ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَالْمَوَائِدُ الَّتِي تُدَارُ عَلَيْهَا الْخُمُورُ، وَحَفَلَاتُ الْمَجُونِ، وَطَاوِلَاتُ الْمَيْسَرِ وَالْقِمَارِ، السَّحَرُ وَالشَّعْوَذَةُ... كُلُّ هَذَا وَأَشْبَاهُهُ يَرْمِيهِ الْمُسْلِمُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَيَنْطَلِقُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

الفِقرة الثَّالثة: «فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ...»:

هذه الوصية بالنِّسَاءِ جَاءَتْ إِحْيَاءً لِكِرَامَةِ الْمَرْأَةِ الَّتِي هَدَرَهَا الْكُفْرُ، وَثَبِيثاً لِلْعِلَاقَاتِ الْأَسْرِيَّةِ الَّتِي مَزَقَتْهَا الْمَادِيَّةُ، وَجَاءَتْ اِهْتِمَاماً بِالْمَرْأَةِ الْأُمِّ، وَالْمَرْأَةِ الْأَخْتِ، وَالْمَرْأَةِ الْبِنْتِ، وَالْمَرْأَةِ الزَّوْجَةِ..

إنَّ أسمى ما يتوقَّع الوصولُ إليه دعاةُ المساواة بين الرِّجل والمرأة أن تصير المرأةُ مساويةً للرَّجل في الحقوق والواجبات والمسؤوليات، لكن ما أعطاه الإسلام للمرأة أُمَّاً وأختاً وزوجةً وبتناً، أعلى من هذا بكثير وأعلى.

الفقرة الرابعة: «وقد تركتُ فيكم ما لن تضلُّوا بعده إن اعتصمتم به...»:

فالقرآن الكريم والسُّنة الشَّريفة، سفينةُ نجاتنا في الدُّنيا والآخرة، ونحن قومٌ أعزَّنَّا الله بهما، ومهما أردنا العِزَّةَ بغيرهما فارقتنا العِزَّةَ وحالفنا الهوان.

أيُّها الإخوة:

هذه فقرات خطبة النَّبي ﷺ يوم عرفة، ثم تأتي الخاتمة المؤثرة، فقد أرسل الله تعالى رسوله بشيراً ونذيراً، ويظهر من الخاتمة أنَّه ﷺ مهتمٌ جداً بأمر الله تعالى، وخائفٌ ألا يكون أدى الذي أمر به؛ مع كل ما بذله لخدمة الدين ومع كل ما ضحى به في سبيل الرسالة.

لذا نجد ﷺ استنطق النَّاسَ الجواب: **«هل بلغت؟»** فلمَّا قالوا: نعم بلغت، ونصحت، وأديت، راح يُشير بأصبعه إلى السَّماء، وإلى النَّاسِ **«اللَّهِمَّ اشهد، اللَّهُمَّ اشهد، اللَّهُمَّ اشهد»**.

نقرأ في سيرة رسول الله ﷺ من أوَّلها إلى آخرها كيف حمَّل رسول الله ﷺ همَّ الدَّعوةِ إلى الله تعالى، ومسؤولية تبليغه الرِّسالة التي بُعث بها إلى النَّاسِ، حتَّى خاطبَهُ ربُّهُ بقوله: **﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾** [الكهف:6].

أخرج ابنُ أبي حاتم في تفسيره أنَّ معناها: لعلك -يا محمَّد- من الحِرصِ على إيمانهم قاتلٌ لنفسك، ومخرِجٌ لنفسك من جسدك.

فتراه ﷺ يدعو إلى الله تعالى في العسر واليسر، في الحرب والسِّلم، في الصَّحة والمرض، في اللَّيل والنَّهار، في أهله وعشيرته، في أسرته وعائلته، في القرييين والبعيدين، يحضُرُ مواسم اجتماع النَّاسِ ويدعو النَّاسَ إلى الله، ويقول: **«مَنْ رَجُلٌ يُؤْوِينِي حَتَّى أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»** (سيرة ابن كثير).

يقول للنَّاسِ: **«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»** [البخاري]، ويقول لهم: **«ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ»** [البخاري].

إن اهتدى على يديه امرؤ فرحاً شديداً، وإن أصرَّ امرؤ على عِناده للحقِّ حزناً شديداً.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ عَلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرَضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ» فَتَنَظَّرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِيعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» [البخاري].

وهكذا تجدون رسول الله ﷺ يحملهم الرِّسالة أن يبلغها الكبير والصغير، الرجل والمرأة، القريب والبعيد، وهو ﷺ يخاف التقصير في أداء حق الرِّسالة.

وأنت أيها الأخ الكريم:

هل حملت هم الدعوة إلى الله؟ هل يعنيك شأن دلالة الخلق على الله؟ كم رجلاً دعوته إلى الإسلام؟ وكم شارداً رددته إلى جادة الصَّواب؟ هل ساندت العاملين في دلالة الخلق على الحق؟

متى ستحمل هم الأمة، ومتى ستقول: ألا هل بلغت اللهم فاشهد!

إذا لم تكن من أنصار رسول الله ﷺ فتنازل الحرب، فكن من حُرَّاس الخيام، فإن لم تفعل، فكن من نظارة الحرب الذين يتمنون الظفر للمسلمين، ولا تكن الرابعة فتهلك.

ألا هل بلغت، اللهم فاشهد!

والحمد لله رب العالمين